

التاريخ في سير أبطاله

أحمد عرابي

أما أن لتاريخ أن ينصف هذا الصري اللاح
وأن يحدد له مكانة بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف



وفي يناير من السنة التالية صدرت من ثلاثة من الضباط
على رأسهم أحمد عرابي حركة أخرى كانت هي الجريئة حقاً ، حركة
جرت في أعقابها حركات فكانت بمثابة الشرارة التي أوقدت النار

وقد راعوا فيه أن يتناسب مع الغاية التي سينشأ من أجلها ، ولذلك
كان فيه قاعات كثيرة بعضها كبير والبعض الآخر صغير . وقد نجد
اقتراحاً لتنظيم ميدان تتوافر فيه الأسباب الصحية مع جمال الذوق
وإبراز سحر الطبيعة ، فإن الطلبة يعدون الإعداد اللازم لأن يكونوا
رجال عمل وأهل تفكير وابتكار وذوق حسن .

فرزى مير الشترى

ننى إلى عرابي ، وهو في منزل أحد أصدقائه أن وزير الجهادية
قد اعتزم عزله وزميله عبد العال بك حلى ، وعلم عرابي أن عدداً
من الضباط في منزله ينتظرونه ، تخف إليهم فوجدهم يعلمون ما يعلم
فتشاوروا في الأمر ، واختار عبد العال بك وعلى فهمي بك عرابيا
رئيساً لهما ولين يتبعهما من الضباط في حركتهم الوليدة التي دارت
حول طاب عزال رفيق باشا من الجهادية ورفع الظالم عن رجال الجندية
ويذكر عرابي في مذكراته أنه بين للضباطين خطورة الحركة
ولكنهما أصرا عليها فطلب إليهما أن يقبلا له أن يخالسا النية ،
فأقسما . ولنا أن نتساءل هنا : لم اختير عرابي قائداً لهذه الحركة
دون غيره ، وقد كان فهمي على رأس حرس السراي وله صلات
برجال الحاشية ، ولم يكن عبد العال دون عرابي مرتبة وخبرة ؟
إن اختيار رجل من الرجال دون غيره لقيادة حركة من الحركات
أمر ينطوي لا ريب على معنى . وما ولدت الزعامات في الغالب
إلا بهذه الطريقة . ففي ذلك الرجل توجد صفات يتميز بها من
سواء فتجتمع عليه القلوب والأهواء في لحظة لا يكون للتنافس
الشخصي فيها مجال . وهذا عندى خير مقياس للزعامة ، وبخاصة
إذا كان هذا الرجل المختار معروفاً من قبل لمن يختارونه فلا يكون
إقبالهم عليه إجماعاً وقتياً لا يلبث أن يتبين خطأهم فيه .

ولن يشذ عرابي عن هذه القاعدة فإنما اختاره الضباط
لما عرفوا فيه من صفات الجرأة والحاسة والإخلاص ، ولما جربوه
عليه من الصدق وحسن الطوية . هذا إلى أنه كان يفوقهم من
ناحية لا غنى عنها لزعيم من الزعماء ألا وهي فصاحة اللسان ، فلقد
كان هذا الرجل الذي جمل الجهل في مقدمة عيوبه أفصح الضباط
لساناً . ولقد كانت الخطابة إحدى ملكاته حتى ليعد من أخطب
رجال ذلك العهد لا في الجيش فحسب بل بين المواطنين جميعاً

أعد الضباط عريضة بمطالبهم ووقع عليها عرابي وزميلاه
وذهب ثلاثتهم فرغموها إلى رياض باشا وإنهم ليعلمون ما كان
ينطوى عليه مثل هذا العمل من جرأة في ذلك الوقت ، وكان عرابي
هو الذي يتكلم باسم زميليه وباسم الضباط جميعاً كما كان سعد يتكلم
حينما ذهب مع زميلين له في مستهل الثورة الثانية إلى مقر المتمد
البريطاني يرفع مطالب المصريين عقب الهدنة

وكان رياض يكره سياسة تقديم العرائض مهما كان من عدالة
المطالب ، وكان يلقي في السجن أو يحكم بالنفى على من يخطون هذه
الخطوات كما حدث للسيد حسن موسى المقاد فقد نفى إلى السودان

واففق ثلاثتهم مع فرقههم أن تذهب إليهم إذا تأخرت عودتهم عن ساعتين؛ ثم ذهبوا إلى حيث طلب إليهم أن يحضروا، فما كادوا يدخلون وزارة الجهادية حتى ألغوا أنفسهم بين صفوف مسددة من الجركس فألقى القبض عليهم وسيقوا إلى السجن ثم إلى المحاكمة وقد انعقد لهم مجلس يحاكمهم برئاسة عثمان رفقي باشا.

ويحسن أن نورد هنا ما وصف به عرابي موقفهم ساعتئذ قال: «ولما أقفل علينا باب الغرفة تأوه رفيقي على بك فهمي وقال: لا نجاة لنا من الموت وأولادنا صغار. ثم اشتد جزعه حتى كاد يرمي بنفسه في النيل من نافذة الغرفة فشجعتة متمشياً بقول الإمام الشافعي رضي الله عنه:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعاً وعند الله منها المخرج
صاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكان يظنها لا تفرج

وتمثل عرابي بأبيات أخرى نسبها إلى السيدة زينب رضي الله عنها إلى أن قال: «فلا والله ما كانت إلا هنيئة حتى جاءت أورطشان من آلاي الحرس الخديو وأحدث رجلاً يدويان الجهادية وأسرع بعض الضباط والسماكر فأخرجونا من السجن، ففرناظر الجهادية ورجال المجلس وغيرهم من المجتمعين وقصدوا جميعاً إلى سراي عابدين» وإنما نورد ما ذكره عرابي لأنه من جهة بصور لنا جانباً من شخصيته وناحية من ثقافته وبريقاً نزعاً انتكاه على أنه تلك النزع التي سوف لا تنخلع عنه حتى بعد أن تنخلع عنه عزيزيته في مأساة التل الكبير؛ ثم لأنه من جهة أخرى متفق مع ما يقول الرواة فلا ضير أن نورد القصة على لسانه

«يتبع»

الطيف

ليلي المأزنية في العراق

كتاب يفصل وقائع ليلي بين القاهرة وبغداد من سنة ١٩٢٦ إلى سنة ١٩٣٨، ويشرح جوانب كثيرة من أسرار المجتمع وسرائر القلوب في مصر والشام والعراق

يتبع في ثلاثة أجزاء. وثمن الجزء ١٢ قرشاً
ويطلب من المكتبات الشهيرة في البلاد العربية

لأنه انتقد إلغاء قانون المقابلة على الصورة التي جاءت بها لجنة التصفية وكما حدث لكثير غيره ممن أخرجوا من مصر بسبب آرائهم الحرة وقابل رياض الضباط مفيظاً محققاً وخاطبهم في كبرياء وعظمة كما يقول عرابي في مذكراته فقال لهم: «إن أمر هذه العريضة مهلك وهو أشد خطراً من عريضة أحد فتي الذي أرسل إلى السودان» وكان هذا الفتى قد نفي أيضاً لأنه طلب المساواة في المعاملة مع غيره من موظفي الديوان محتجاً على ما كان يجري من محسوبية، ذلك الداء الويل الذي لا نعرف متى تتخلص هذه البلاد منه!

أما عن لحوى العريضة فإن عرابي يذكر أنه قد طالب بمودة مجلس شوري النواب إلى جانب المطالب العسكرية، مع أن أكثر المؤرخين يذكرون أن هذا الطلب لم يأت ذكره إلا فيما بعد. ولكن عرابياً بصر على دعواه في كل ما كتب من تاريخ حياته على أن الأمر الذي غضبت له الحكومة هو المطالبة بعزل عثمان رفقي فقد رأت في هذا الطلب نوعاً من التمرد فادخل الجيش في سياسة الحكومة ليطالب بعزل وزير. وقد كانت الحكومة لا ريب محقة في هذا الغضب، بيد أنها من جهة أخرى لم تسلك إزاء هذه الحركة ما كانت تقتضيه السياسة الرشيدة، فكان عليها أن تبحث في مطالب الجيش فتجيب ما كان منها في جانب الحق ثم تقنعهم بعد ذلك بأن ليس من حقهم المطالبة بعزل رفقي

سكت رياض أسبوعين وهو يحاول إقناع الضباط لسحب العريضة وهم بصرون عليها. وغضب توفيق أشد الغضب وأشار عليه المحيطون به باتباع العنف مع الضباط، ثم نعى إلى رياض أن سكوتة قد يفسر بأنه ممالأة للجيش وعدم موالاة للخديو. ويقول مستر بلنت في مذكراته إن الخديو أراد أن ينهز هذا الحادث للانتقام من رياض فيوقع بينه وبين رجال الجيش.

ولما فطن رياض إلى ما قد يفسر به سكوتة وافق على محاكمة الضباط، ووقع الخديو على أمر بمحاكمتهم، ودعى وزير الجهادية الضباط الثلاثة إلى ديوان الجهادية بقصر النيل بحجة الاستعداد لحفلات زفاف إحدى الأميرات وهناك ألقي القبض عليهم... وبذلك تفتتح لمرابي صفحة في سجل تاريخ مصر

وكان الضباط على علم بما دبر لهم. فلم يكن من العسير عليهم في مثل ذلك الموقف أن يدركوا ما عسى أن تبيته الحكومة لهم من كيد. ولقد قيل إن قنصل فرنسا كان على اتصال بهم فأخبرهم بما عقدت الحكومة النية عليه.